لتظهر الفروق بين اللفظتين والله اعلم قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة
الحر والبرد وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يسكن اليه من شدة
الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك ان الانسان اما ان يكون غنيا او فقيرا فاذا سافر احتاج في سفره
ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل
لكم من جلود الانعام بيوتا واما الفقير فيستكن بظلال الشجر والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله
والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم الى الظلال
وما يدفع شدة الحر اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم فيها ظاهرة وجعل لكم
سرابيل تقيكم الحر يعني وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة
الحر قال اهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر احدهما لدلالة الكلام عليه وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن
وسائر ما يلبس في الحرب ليمنع من السلاح والباس الحرب يعني تقيكم في باسكم السلاح ان يصيبكم قال عطاء الخراساني
انما نزل القران على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكنهم
كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا
اصحاب صوف ووبر وشعر كما قال وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل الله من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون
الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر وقوله تعالى كذلك يعني كما انعم الله عليكم
بهذه النعم يتم نعمته عليكم يعني من نعم الدنيا والدين لعلكم تسلمون يعني لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله بالوحدانية
والربوبية والعبادة والطاعة وتعلموا انه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى فان تولوا يعني فان
اعرضوا عن الايمان وتفضل نفعك يا محمد واثروا ما هم فيه من الكفر والملذات الدنيوية وانما قال ذلك تسلية له فانما عليك
البلاغ المبين يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم
ذمهم الله تعالى بقوله يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها قال السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
انكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام وهو من اعظم النعم التي انعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه
وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بانها من نعم الله ثم اذا قيل لهم تصدقوا
وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن ابائنا وقال الكلبي هو انه لما ذكر هذه النعم قالوا
هذه نعم كلها من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل انهم يعرفون بان الله انعم هذه النعم ولكنهم لا يستعملونها
في طلب رضوانه ولا يشكرونها واكثرهم الكافرون انما قال تعالى واكثرهم الكافرون مع انهم كلهم كانوا
كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل انه عبر بالاكثر
عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع قوله عز وجل ويوم نبعث من كل امة شهيدا لما ذكر الله تعالى انعامه
على الكفار وانكارهم لها وكون اكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم في الاخرة فقال تعالى ويوم
نبعث من كل امة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد به ان الشهداء هم الانبياء
ليشهدون على اممهم يوم القيامة بانكارهم نعم الله عليهم وبالكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا يعني في
الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الرجوع الى دار الدنيا حتى يعتذرون ويتوبون وقيل لا يؤذن لهم
في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويعرفونهم ويقرونهم بذلك ولا هم يستعتبون الاستعتاب
طلب العتاب والمعتبة هي المغلطة والموجدة التي يجدها الانسان في نفسه على غيره والرجل انما يطلب
العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضى عنه واذا لم يطلب

العتاب

العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الاية انهم لا يكلفون ان يرضوا ربهم
في ذلك اليوم لان الاخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا ربهم
فالاستعتاب التطلب للرضى وهذا باب منسد على الكافر في الاخرة واذا راى الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي العذاب يعني عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون يعني لا يؤخرون ولا يمهلون
واذا راى الذين اشركوا يعني يوم القيامة شركاءهم يعني اصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك يعني اربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم الهة فالقوا يعني
الاصنام اليهم يعني الى عابديها القول انكم لكاذبون يعني في تسميتنا الهة وما دعوناكم الى عبادتنا
فان قلت الاصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد ان
الله تعالى لما بعثها واعادها في الاخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حين قالوا ذلك والمقصود
من اعادتها وبعثها حتى تكذب لكفارهم في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة والقوا
يعني المشركين الى الله يومئذ السلم يعني انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم الهتهم
شيئا وضل عنهم يعني وزال عن المشركين ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم
ان الاصنام تشفع لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يعني انهم ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن
الدخول في الايمان بالله ورسوله زدناهم عذابا فوق العذاب يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم
عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلي واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد
الله بن مسعود عقارب لها انياب كامثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب
امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها المها اربعين خريفا قال ابن عباس ومقاتل يعني
خمسة انهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان
على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار
مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعف بسبب كفرهم وضعف بسبب صدهم الناس عن
سبيل الله بما كانوا يفسدون يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم وسبب ما كانوا يفسدون
مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم قال ابن عباس رضي
الله عنهما يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على امته وهو عدل لكل شاهد عليها من انفسهم
يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذي بعث اليهم ليشهد عليهم بما فعلوه من كفر وايمان وطاعة
وعصيان وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء يعني على قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تعالى
ونزلنا عليك يعني على قومك القران الكتاب تبيانا لكل شيء تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعني
لما امر به ونهى عنه وقال اهل المعاني تبيانا لكل شيء من امور الدين اما بالنص او بالاحالة على ما يوجب العلم
به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القران من الحدود والاحكام
والحلال والحرام وجميع المامورات والمنهيات واجماع الامة ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين وهدى
يعني من امور الضلالة ورحمة يعني لمن امن به وصدقه وبشرى للمسلمين يعني وفيه البشرى
للمسلمين من الله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان قال ابن عباس العدل شهادة ان لا اله
الا الله والاحسان اداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله
كانك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا

Copyright © King Saud University